



الخواجه اسكندر كوئيل من صديقه ابرهيم سركيس

Kitab Ṣaut al-nafir.

كتابُ

صوت النفير

في

اعمال اسكندر الكبير

Ibrāhīm Ṣarkis.

تاليف ابرهيم سركيس اللبناني

صوت النفير

بسم الله المبدي المعيد

الحمد لله القدير ذي الجلال . الذي لهُ علم ما كان
وما يكون في جميع الاجيال . اما بعد فيقول الفقير
اليهِ تعالى ابرهيم بن خطار سركيس اللبناني ان هذ
رسالة قد جمعتها مما لذَّ جمعهُ وطاب سمعهُ من كتب
المورخين في اعمال اسكندر بن فيلبس المكدوني
وقد اقتصرت فيها على ذكر اشهر وقعاتهِ وسميتها
صوت النفير في اعمال اسكندر الكبير راجيًا من
المطالع غض الطرف عما يعثر بهِ من الخطا والحمد
لله اولاً وآخراً

تاريخ اسكندر ذي القرنين

ان اسكندر بن فيلبس الملقب بالكبير عند الافرنج وبذي القرنين عند العرب ملك على مكدونية حين كان قد اتى عليهِ عشرون سنة وكان يلوح في وجههِ وهو شابٌّ بشائر الخير العميم وقد تعلم عن ابيهِ وعن ارسطوطليس جميع ما لهُ تعلق في رياضة ذهنهِ فسطعت بعد قليل من الزمان شمس ميلهِ ورغبتهِ للمفاخر العسكرية . وكان مولعاً بقراءة كتاب نصرة تروادة لما انهُ مشحون بغزوات السالفين من فحول الرجال . وقد قال لبعض ندمائهِ متنفساً الصعداء ها هو ابي قد تغلب على جميع البلدان بسيفهِ وما ابقى لسيفي شيئاً ما . وبينما هو يتحدث ذات يوم مع رسلٍ من طرف ملك الفرس فلم يسالهم عن زينة اسيا ولا لذَّاتها بل تحادث معهم في شان مسافة امكنتها وقوة الامم وكيفية السياسات وسلوك ملكها فتعجبوا غاية

العجب وقال بعضهم لبعض ان هذا الامير لعظيمٌ واما ملكنا فغبي. ثم ان الشجاعة وحب الرياسة والتدبير والتلذذ بذوق اقتحام العظائم كانت تتراءى في طبيعتهِ حتى انهُ امتاز واشتهر غير مرة تحت لواء ابيهِ. واما في حداثة سَنهِ وهو ابن عشرين سنة حين خلف اباهُ على المملكة فكان جديرًا بالقائهِ الرعب والهيبة في قلوب الامم

اما اهل اثينا فلما بُشِّروا بموت فيلبس حصل عندهم غاية المسرة ولاسيما دمستين الخطيب الشهير فانهُ لم يبالِ بان يكون امامهم في ذلك وما كفاهُ الفرح فقط بل ابتهل بالثناء على معبودهِ شكرًا على موت ذلك الملك وهيَّج الناس ان يعطوا منحة لقاتلهِ بوزنياس تاجًا علامة على الفخر. ثم حمل اليونانيين على الخروج على اسكندر الذي كان يصفهُ بالصغر والبله وان مملكتهُ مشرفة على الخراب. فظن جميع الذين

كانوا رعايا ابيهِ انهم يُعتَقون بمجرد موتهِ من تسلط اسكندر عليهم فاشهروا السلاح

ولما خاف المكدونيون من عصيان هولاء الامم اشاروا على اسكندر ان يسلك معهم سبيل الصلح والرفق وقالوا لهُ انك شابٌ لا قدرة لك عليهم. ولكن مذ احسَّ بقوتهِ عزم على تشتيت شمل هولاء الاخصام فحارب اولاً اهل ثراقيا وايليريا واخضعهم وكانت طيوة قد عصت بعد موت ابيهِ فاغنم هذه المدينة وهدمها وباع مقدار ثلاثين الفًا من اهاليها عبيدًا

ولما بلغ الاثينويين فتح طيوة اخذهم الرعب فبعثوا يلتمسون الصلح من اسكندر وكان من جملة الرسل دمستين الذي سرَّ لموت فيلبس والد اسكندر فارتعدت مفاصلهُ وخاف من اسكندر ففر في الطريق وترك جماعتهُ. فلذلك قيل كم من شجاعٍ في

الكلام جبان عند الاقدام. قال الشاعر

ما كل من قال القصائد شاعرٌ

هيهات يطعن كل من حمل القنا

فلما جاء الرسل الى اسكندر اجابهم في ذلك ولم يرضَ خراب مثل هذه المدينة العامرة باناس اخيار وابنية مشيدة بشرط ان يطردوا من بلدهم كريدميوس الخارج عن طاعتهِ والمؤسس للفتن

وهذه الواقعة باستقلالها جعلت اسكندر في البطش كابيهِ فسلمت لهُ جميع بلاد اليونان فجمع وكلاءهم الى مدينة كورنثوس وعرَّفهم بقصدهِ على فتح بلاد الفرس كما كان قد قصد ابوهُ ودعاهم ان يقيموهُ رئيس هذه الغزوة فذهب اليهِ جميع اعيان البلدان يهنئونهُ حتى الفلاسفة ولم يتخلف منهم الا ديوجنس الشهير بازدرائهِ الغنى والادب فمرَّ عليهِ اسكندر ليزورهُ فرأى نفورهُ واعراضهُ عن الخلق فقال لهُ

اسكندر على رواية بعضهم لو لم أكن اسكندر لوددت
ان اكون ديوجنس

ولما رجع اسكندر الى مملكتهِ يستعد لفتح بلاد
اسيا ابى ان يتزوج فرارًا من ضياع زمنهِ في العرس.
وبذل ما عندهُ من الاموال في الانعام على كبار
عسكرهِ فقال لهُ احدهم اي شيء اعددتهُ للانفاق
على نفسك فقال الرجاء. واناب عنهُ في حفظ
مكدونية رجلًا اسمهُ انتباطير وابقى لهُ ثلثة عشر الف
رجل واستصحب في جيشهِ خمسة آلاف فارس
وثلثين الف راجل فقط لكنهم ابطال تحت طاعة
شيوخ مجربين. ثم توجه ولم يأخذ معهُ الا اهبة شهرٍ
واثقًا بقوتهِ وسعدهِ وضعف اعدائهِ

اما مملكة الفرس فكانت قبل توجه اسكندر
اليها قد اشرفت على الخراب لان كلًّا من غاية اتساع
مساحتها وقبح سياستها واسترقاقها للامم وظلم ملوكها

كان مساعدًا على خرابها بل موجبًا له. وايضًا ولاة اقاليمها لبعدهم عن قصبة المملكة كادوا يكونون ملوكًا مستقلين وكان ايوانها منبع الفتن والقبائح وكان ملكها حينئذٍ داريوس قدمانوس فعزم ان يكسر شوكة اسكندر حالاً وسماهُ الصبي المجنون

وقبل شروع اسكندر في حربهِ مع داريوس زار قبر اخيليس الذي سماهُ اسكندر اسعد الناس لانهُ كان لهُ صديق حقيقي في حياتهِ وشاعرٌ لكي يرثيهُ بعد موتهِ. وعبر نهر غرانيكوس تلقاء اعدائهِ وهو نهر في اسيا الصغرى يصب في بحر مرمره فانهزموا وولوا مدبرين وكان عدد عسكر داريوس ماية الف راجل ومائتي الف فارس. وهذا الاقتحام وان كان خطرًا الا ان اسكندر رأى انهُ لا بد منهُ في ترهيبهم وفوزهِ ونجاح مدافعتهِ. وقد كان احد اعيان دولة داريوس اشار عليهم فلم يلتفتوا اليهِ ان يخربوا البلدان حتى

يضطر اسكندر الى القوت فلو وافقهُ ولاة فريجية على ذلك لهلكت جنود اسكندر بلا حرب. ثم اشار ثانياً ان ينقلوا القتال الى مكدونية التي هي مملكة اسكندر ليضطر الى الدفع عن خاصة مملكتهِ فاجابهُ الى ذلك واقامهُ وكيلاً على انفاذ هذه النية ولكن هلك في محاصرة فكان هلاكهُ سبباً في ترك طرق سلامتهم التي ليس لهم غيرها

فتغلب اسكندر على اسيا الصغرى في قليل من الزمن وجاز مضيق كيليكية التي تُسمَّى الان قرمان حيث لا يقدر احدٌ من الفرس يظهر عليهم وسلب اموال طرس وهي بلدة عظيمة ذات ثروة شرع الفرس في احراقها

فاقبل داريوس على الحرب لكنهُ دخل مضيقاً لا يتمكن فيهِ من غرضهِ مع اليونانيين مع انهُ كان الاولى في حقهِ ان ينتظرهم في سهل اشور حيث يمكنهُ

ان يمد جيشهُ نحوهم وقد اداهُ وثوقهُ برايهِ الى ان لا يقبل مشورة مشير وانظر الى اين قد افضى بهِ ذلك الى العظائم . وقد تعلم من واقعة ايسوس ان جمًّا غفيرًا من القوم لم يحسن الطاعة والسلوك هو كالعدم بالنسبة الى جند عظيم تحت امرهمام وطاعة ولاةٍ اخيار وذلك ان ثلثين الفًا يونانيين كانوا من جنود داريوس فبرزوا وحدهم ومانعوا الغلبة ولم يهربوا فدمرهم اسكندر بعد ان شتت الباقين

وحسب داريوس من الفضل انهُ قد ابدى شجاعتهُ وما انهزم الا بعد ان هلكت الخيل التي كانت تقود ما كان يحارب عليهِ من العربات . قيل كانت خسارتهُ ماية الف وعشرة الاف رجل وقُتِل من عسكر اسكندر اربع ماية وخمسون رجلًا . فهرب داريوس ليلًا وعبر نهر الفرات ووقعت امراتهُ وابنتاهُ وامهُ في يد اسكندر فاكرمهنَّ اكرامًا زائدًا لائقًا بهنَّ

وامهنّ ثم ارسل اليهِ داريوس رسلاً طالباً ان يفدي نساءهُ بمبلغ وافر جدًّا وان يعقد الصلح فيزوجهُ ابنتهُ ويعطيها لجهازها كل الاراضي الواقعة بين نهر الفرات وبحر الروم فاجاب اسكندر بانهُ يسلم النساء حالاً اذا اتى داريوس وطلبهنّ واما اذا اراد ان يشارطهُ فلا يقبل شيئاً من ذلك

وبعد واقعة ايسوس مضى الى الشام فاخذ احد امراء عساكرهِ دمشق فوجدوا فيها خزائن داريوس وكان على ما قيل في هذه المدينة من الغنائم ما يحمل سبعة آلاف دابة

وكتب داريوش الى اسكندر كتاباً مملوًّا من التكبر وحاصلهُ اني انصحك ان تدع تعديك بهذه الحرب وان ترسل اليَّ امي وامراتي واولادي فاجابهُ اسكندر مفتخراً بسيادتهِ على اسيا بما مضمونهُ لم اكن في محاربتي هذه مريدًا الآن يعترف لي كافة الناس

باني سيد اسيا . ثم ما تبع اسكندر الفرس بعد ذلك بل مضى الى مدينة صور طامعاً في استيلائهِ على مملكة البحر وكانت صور اشهر مدن بلاد فينيقية وقاعدةً للدنيا قديمة كثيرة الاهل والزائرين وجزيلة العَدَد والعُدَد وكانت معدن التجارة ومنبع فن سفر البحر ومحل اتقان الصنائع والعلوم .

قال خليل افندي الخوري في ديوانهِ المسمى بالعصر الجديد في الجلوس السعيد في قصيدتهِ المسمّاة صور

كم زينت مدن الانام تجارتي

ولكم اتاني بالوقار سفيرُ

وانا التي اخترعت الى اهل الملا

سفر البحار ويرقي منشورُ

لله ما قاسيت من نكب القضا

لما اتى الاسكندرُ المنصورُ

ذاك الذي ما كان يطربهُ سوى
صوت الصفاح على الكفاح يدورُ
لله ما قاسيت حيث جنودهُ
هجمت على سوري العظيم تغيرُ
خرقوا بضرب المنجنيق حصونهُ
وسطوا فلم يثبت عليهِ نصيرُ

وكانت صور اولاً في البر ثم خلفتها سميتها في البحر. وسكنت هذه باهل تلك وكانت المسافة بينهما قريبة وكان حصار اسكندر لهذه المدينة الحصينة احدًا ما جرى من الحوادث النادرة في بطون صحائف التاريخ وذاك انهُ لما نازل المدينة وراى ما كانت عليهِ من العز والمنعة ولاسيما ان جماعةً من عسكرهِ قد قُتِلوا فكاد الباقون يقنطون خشي ان ينثلم حدُّ صيتهِ فاغضبهُ ذلك جدًّا وبلغ منهُ الغيظ كل مبلغ ولكن لم يلوِ عنها عنانهُ ولا صرف عنها همتهُ فكان في ذلك

عجب اكثر من عجب قصده اياها بالحصار لانها كانت
من المتانة على جانب عظيم وناهيك ان ارتفاع سورها
كان ماية وخمسين قدماً وكان مستحيزها في جزيرة
بعيدة عن البر بنصف ميل نعم انهُ بعد ان خربت
صور القديمة بنحو مايتين واربعين سنة حدث عن
ردومها معبر بالغ الى الجزيرة الاان النوء كان قد
ذهب باكثره ومدافعة الصوريين كانت غير ذات
فتور فكان هذا اولاً مضعفاً من قوة اسكندر غير ان
ما بقي من تلك الانقاض والرسوم اطمعهُ وجندهُ
بنجاح مستقبل سعيهم وايناع ثمرة كدّهم. ولما لم يكن
ذلك القدر كافياً امر بجمع كلّ ما وجد من الردم
والاثار والقاهُ في البحر كالركام المركوم وهكذا اخذها
اخذ قويٍّ مقتدر بعد ان حاصرها سبعة اشهر وسلمها
للنهب والحريق وقتل نحو ثمانية الاف من اهلها وباع
ايضاً ثلاثين الف اسير. وبينما هو متلوّث بدمائهم اذ

دخل صور وقرب قربانهُ لهرقوليس . ثم ذهب الى اورشليم واراد ان يعاملها كما عامل صور

واذ استظهر اسكندر على سورية وفينيقية تطرّق الى اليهودية لينتقم من اليهود لانهم كانوا قد امدُّوا اعداءهُ بالزاد ولم يلتفتوا الى مساعدتهِ بشيءٍ ولما سمع يدوع الحبر العظيم بقدومهِ دعا الشعب ليتحدوا معهُ في تقديم الذبائح والصلوات لله لكي يدفع عنهم هذه البلية المريعة . فلما خضعوا امام الرب قيل ليدوع في الحلم ان يرحل من هناك متوشحًا بالملابس الحبرية وتتبعهُ الكهنة بالملابس الكهنوتية ويلاقي الملك المفتتح في طريقهِ . ففعلوا كذلك وتبعهم جمع غفير وعليهم الثياب البيض . وهكذا ساروا اجواقًا اجواقًا الى رابية يقال لها صفا وهي تشرف جيدًا على المدينة والهيكل . ثم تقدم الملك ولما راى اليهود اخذهُ رعب شديد وبادر الى رجل الله فسلَّم عليهِ باحترام ديني فتعجب

الناس من ذلك الامر الغريب واقبل برمينوس نديم الملك وسالهُ عن سبب ذلك الوقار والكرامة غير المعهودة. فقال ان هذا السجود ليس لهذا الكاهن بل لالههِ شكرًا على رؤياي في ديُو من اعمال مكدونية التي فيها رايت هذا الكاهن بعينهِ لابسًا هذه الملابس نفسها ووعدني ان يهبني سلطنة بلاد فارس

وقيل ان اسكندر بعد ان ودَّع يدوع الحبر معانقًا اياهُ ذهب الى اورشليم وقدَّم لله ذبائح في الهيكل وحينئذٍ اراهُ الحبر المذكور نبوات دانيال عن دمار السلطنة الفارسية على يد ملكٍ يوناني. فلما وقف اسكندر على هذه النبوة اشتدَّت عزائمهُ وعوَّل على غزو داريوس ملك الفرس واثقًا بالنجاح والغلبة. ثم ان يدوع طلب منهُ ان يرخص لليهود في استعمال طقوسهم وحفظ سننهم بالحرية. فاطلق لهم ذلك وعفاهم من دفع الخراج سنةً من كل سبع سنين وهي

السنة التي كانوا حسب سنّتهم لا يزرعون فيها ولا يحصدون

ثم ذهب الى غزة واستفتحها وانتقم على وجه شديد اما لغيظهِ او قساوة سياستهِ اذ قتل بالسيف عشرة الاف رجل وباع ما بقي حتى النساء والصبيان واما حامي المدينة الشجاع المسمى بتيس فعلقهُ من عقبيهِ في عجل عربة وامران يطاف بهِ حول المدينة حتى مات. ثم ذهب الى مصر التي كان بها الفرس مبغضين لاحتقارهم ديانة اهلها فقبلهُ المصريون على ان ينقذهم ولكي يرغبهم في توليتهِ عليهم سمح لهم ان يتمسكوا بشرائعهم وعوائدهم ووصل الى هيكل جوبتير على طرف الصحراء وعبر الرمل المحرق حيث هلك اكثر قوم كمبيز سابقاً وخاص منهُ على ما قال المورخون على وجه خارق العادة. وقصد بذلك ان يدّعي انهُ ابن الشمس التي كانوا يعبدونها فاعطاهُ الكاهن هذا

اللقب فكتبت لهُ امهُ تهزا بهِ اذ قالت لهُ لاتوقع العداوة بيني وبين جونون امراة جوبتير. واسس في مصر مدينة الاسكندرية المعروفة الى الان باسمهِ وبنى فيها المنارة المشهورة. واذ ترفّق باليهود لما ذكرنا انفاً احضر الى الاسكندرية عدداً كثيرًا منهم ليعمروها واعطاهم هبات وحقوقاً مثل المكدونيين

ثم بعد ذلك رجع الى بلاد الفرس فعرض عليهِ داريوس عقد الصلح فيسلم لهُ جميع الاراضي الواقعة غرباً من نهر الفرات فابى اسكندر قبول ذلك قائلاً ان العالم لايستطيع احتمال ربين كما انهُ ما استطاع احتمال شمسين. فلاقاهُ داريوس بجيش عددهُ سبعماية الف مقاتل فانتصر عليهِ اسكندر في وقعة صارت بقرب مدينة اربيل في بلاد فارس فهرب الى ماديا ومن هناك الى بلاد التتر المستقلين وقُتِل هناك فبقي اسكندر مسلطاً على مملكة الفرس باسرها

وصادف في مدن الفرس اموالاً كثيرة فافسدت
قومهُ المكدونيين كما قد افسدت مَنْ قبلهم من الفرس
حتى ان اسكندر ذاتهُ لما ذاق طعم الغنى الذي هو
كالسم القاتل تكبر في الارض وافسد بالزينة وجحود
النعم. فمن ذلك انهُ اضرم النار في ايوان مدينة فارس
وصيرهُ هباء قيل انهُ امر بذلك وهو لا يشعر وقد
اغتاظ المكدونيون اذ راوهُ قد هجر ملابسهم احتقاراً
لها ولبس كملوك الفرس ودعا رعيتهُ ان يعبدوهُ

ثم تقدم الى الهند وانتصر على ملكها. ولما رأت
عساكرهُ انهُ ليس نهاية لاتعابهم ابوا ان يتقدموا اكثر
وطلبوا الرجوع الى بلادهم فعاد الى مدينة تدعى
فرسيبوليس وهي من افخر مدن بلاد فارس واحرقها
حنقاً ثم اتى الى بابل التي قصد ان يصيرها قصبة
مملكتهِ الشرقية فابتدا بتعميرها وبعد ذلك ببرهة
قليلة مرض بحمى اصابتهُ غب السكر فمات في السنة

الثالثة والثلاثين من عمرهِ والثالثة عشرة من ملكه قبل المسيح ٣٢٢ سنة. واذ كان ملكًا رفيع الشان غالبًا منصورًا وارتقى الى اعلى درجة من المجد العالي كان سريع الغضب شديد الحمق. ومن ذلك انهُ قتل برمينوس نديمهُ واشهر امرائهِ على تهمةٍ ومرةً اذ كان سكران قاومهُ كليتوس الذي كان واسطة نجاتهِ من الموت عند حربهِ مع الفرس فطعنهُ بحربة والقاهُ قتيلًا وقتل الفيلسوف كلستينس لانهُ لم يقدم لهُ اكرامًا دينيًّا كواحد من الالهة وكان قصدهُ ان يمضي من اسيا الى قرطاجنة في شمالي افريقية وبعد ان يخضعها يعبر الى اوروبا ويخضع اسبانيا وايطاليا ثم بعد ذلك يرجع الى مكدونية. وما احسن قول الشيخ ناصيف اليازجي

لو يجمع الله ما في الارض قاطبةً
عند امرءٍ لم يقل حسبي فلا تزدِ

فسقاهُ ملك العدل كاس الحمام ونحاهُ عن مقاصده.
ولله درُّ القائل

فكم من صحيحٍ بات للموت آمنًا
اتتهُ المنايا بغتةً بعد ما هجع
فلم يستطع اذ جاءهُ الموت بغتةً
فرارًا ولا منهُ بقوتهِ امتنع
فاصبح تبكيهِ النساء مقنعاً
ولا يسمع الداعي وان صوتهُ رفع
وقُرِّب من لحدٍ فصار مقيلهُ
وفارق ما قد كان بالامس قد جمع
فلا يترك الموت الغنيَّ لمالهِ
ولا معدمًا في المال ذا حاجةٍ يدع

وقد تقدم ان اسكندر لما قصد استفتاح مملكة الفرس ترك مكدونية تحت ادارة رجل اسمهُ انتباطر فقام عليهِ اليونانيون ظانين انهم يملكون حريَّتهم

الاولى فاخضعهم المذكور والزمهم بقتل عشرة من خطبائهم الشهراء الذين كانوا حرضوهم على العصيان ومنهم دمستين اما هو فقتل نفسهُ بشرب سمٍّ لئلَّا يقع في ايدي اعدائهِ

وتوفي اسكندر بدون ان يعين خليفةً له. وبعد موتهِ ببرهة يسيرة ولدت امراتهُ ركسانا ابناً فاخذ فردكاس احد امرائهِ على ذاتهِ ان يكون وصيًّا لهُ وحكم باسمهِ وحدث من ثم مخاصمات كثيرة بين بقية امراء اسكندر وروسائهِ وكانت نهايتها انقطاع نسلهِ. وانقسمت املاك اسكندر الى اربع ممالك. الاولى مصر وبر العرب وجانب كبير من بر الشام اخذها بطليموس الملقب سوطير. الثانية مكدونية وبلاد اليونان اخذها كساندر. الثالثة ثراقيا وبثينية وبعض اقسام اسيا الصغرى اخذها ليساخوس. الرابعة بقية اسيا من البحر الاسود الى حدود النهر

اخذها سلوخوس وسُمِّيت مملكة سورية وهي اعظمها جميعاً وكان ذلك قبل المسيح بثلثماية سنة

قيل ان اسكندر بعد ما غلب الممالك وفتح الفتوحات ورجع الى بابل انهُ سُقِي سماً وذلك ان امهُ كانت كتبت اليهِ كتاباً تشكو عاملهُ على مكدونية فعزم اسكندر على قتلهِ فشعر الرجل بذلك فارسل ابنهُ الى اسكندر بهدايا كثيرة وزودهُ سماً قاتلاً واوصاهُ ان يتلطف بكل حيلةٍ بان يسم اسكندر فقدم الفتى واوصل كل ما كان معهُ من الهدايا ولقي في من لقي صاحب شراب اسكندر وقد كان اسكندر قبل ذلك غضب عليهِ فضربهُ فاتفق معهُ صاحب الشراب علي ما اراد. ثم ان اسكندر اتخذ طعاماً مع اصحابهِ فاكلوا وشربوا فجلس مع خواصهِ وندمائهِ مسروراً بمجلسهِ فرحاً باحوالهِ فلما اخذ فيهِ الشراب مزج الساقي الشراب في ذلك السم ثم ناولهُ الكاس

فلم يلبث حين شربها حتى شعر بموتهِ واحس بانقضاء
اجلهِ فامر باحضار كاتبهِ فاملى عليهِ كتاباً هذه صورتهُ
من عبد الله اسكندر المتولى بالامس على اقطار
الارض وهو اليوم رهينها الى امهِ الحبيبة الرحيمة التي
لم يتمتع بالقرب منها . السلام الطيب الزكي ان سبيلي
يا امي سبيل من قد مضى من الاولين وانتِ ومن
يتخلف بعدي في الاثر وانما مثالنا في هذه الدنيا كاليوم
الذي يدفع ما تقدمهُ فلا تاسفي على الدنيا فانها غرَّارة
باهلها والعبرة في ذلك ما عرفتِ عن الملك فيلبس
حيث لم يجد سبيلاً الى المقام معكِ فتدرعي بالصبر
وانفي عنكِ الجزع واعتزلي وامري ان لا يدخل الاَّ
من لم تنلهُ مصيبة ولا بُلي بداهية لتعرفي ما في ذلك
فتستقري على امركِ وتمضي لشانكِ فان الذي اصير
اليهِ افضل ما كنت فيهِ فاحسني اليَّ والى نفسكِ
بقبول العزاء والصبر . وكتابي هذا في آخر يومي من

الدنيا واول يومي من الآخرة كتبتهُ اليكِ رجاء ان تتعزي بهِ ويحسن موقعهُ منكِ فلا تخلفي ظني ولا تحزني نفسي والسلام وامر بختم الكتاب وارسلهُ الى امهِ سرًّا وتقدم الى فليمون وزيرهِ وطلب منهُ ان يستر موتهُ ويسرع في المسير الى الاسكندرية . ويقال لما بلغ قوموس مرض بها مرضًا شديدًا ومضى مريضًا لا يزداد كل يوم الا ضعفًا الى ان قضى اجلهُ . قال الشيخ ناصيف اليازجي

كلٌّ يروح من الدنيا الغرور كما
اتى بلا عَدَدٍ منها ولا عِدَدِ
لو كان ياخذ شيئًا قبلنا احدٌ
لم يبقَ شيءٌ لنا من سالفِ الامدِ

والارجح ان سبب موتهِ ما ذكرنا آنفًا

وقيل ان فليمون وزير اسكندر جعل جسد اسكندر بعد موتهِ في تابوت من ذهب اجلالاً لهُ

وملأهُ عسلاً وستر الوزير موتهُ وقاد الجيوش آخذاً الخزائن الى الاسكندرية التي عند وصولهِ اليها اظهر للناس موت اسكندر واخرج التابوت ووضعهُ في وسط البلاط وامر الحكماء ان يقول كل واحد بديهة تكون للخاصة تعزية وللعامة عظة بايجاز

فقال فليمون الحكيم هذا يومٌ عظيم العبر اقبل من شرّهِ ما كان مدبرًا وادبر من خيرهِ ما كان مقبلاً

وقال افلاطون الحكيم ايها الساعي المغتصب جمعت ما خذلك وولى عنك فلزمتك اوزارهُ وعاد على غيرك هناؤهُ

وقال ارسطوطليس صدر عنا اسكندر ناطقاً وقدم علينا صامتاً

وقال ثاون الحكيم قل لرعية اسكندر هذا يوم ترعى الرعية راعيها

وقال فيلن من لم تلهُ مصيبة فتتعزى

وقال اخر هذا الطريق لابد من سلوكهِ فارغبوا في الباقية كرغبتكم في الفانية

وقال اخر كفى بهذا عبرة ان الذهب كان بالامس كنزًا لاسكندر فاصبح اسكندر اليوم مكنوزًا بالذهب

وقال آخر سيلحقك من سرهُ موتك كما لحقت من سرك موتهُ

وقال آخر لاتعجبوا ممن لم يعظنا في حياتهِ فقد صار بموتهِ لنا واعظًا

وقال آخر قد كنا ايها الشخص بالامس نقدر على الاستماع منك ولا تقدر على القول فهل تسمع الان ما نقول

وقال آخر امات هذا الشخص خلقًا كثيرًا كيلا يموت فمات فكيف لم يدفع عن نفسهِ الموت بالموت

وقال آخر لم يودبنا اسكندر بكلامهِ كما ادبنا بسكوتهِ

وقال آخر يا من كان غضبهُ الموت لِمَ لا غضبت على الموت

وقال آخر خافت حصونك ايها الشخص وامنت حصون غيرك

وقال آخر ما ازهد اليوم الناس فيك وارغبهم في تابوتك

وقال آخر ما اصدق الموت لاهلهِ غير انهم يكذبون عيونهم ويصمون آذانهم

وقال آخر ان دنيا تكون هذه آخرها فالزهد في اولها اولى

وقال آخر ايها الجمع لا تبكوا على من جاز البكا عنهُ بل فليبكِ كل امرءٍ منكم على نفسهِ

وقال آخر عهدي بك وانت ترغب نفسك في

ارحب البلاد فكيف صبرك الان على ضيق المكان

قال الشاعر

ضاقت بذي القرنين ساحات الفضا

ما زال وهو مغالبٌ ومقاتلُ

حتى ثوى في سُمّ لحدٍ ضيّقٍ

من بعد ما ارداهُ سمٌّ قاتلُ

وقال آخر ان كان لايبكى على الموت الا عند حدوثهِ فالموت في كل يوم جديدٌ

وقال آخر لقد كنت مغبوطاً فاصبحت مرحوماً ولئن كنت مرتفعاً فقد اصبحت متضعاً

وقال آخر يا هذا الذي كان غضبهُ مرهوباً وجانبهُ ممنوعاً هلاَّ غضبت ليفرق الموت منك ولمَ لاامتنعت لتنفي الذل عنك

وقال آخر كفي العامة اسوةً بموت الملوك وكفي الملوك عظة بموت العامة

وقال آخر ما اتعظ اسكندر بعظةٍ هي ابلغ من وفاتهِ

وقال آخر قد كان صوتك مرهوبًا وملكك عاليًا فاصبح الصوت وقد انقطع والملك وقد اتضع

وقال آخر قد كنت تقدر على الاحسان ولا اقدر انا على الكلام فاليوم اقدر انا على الكلام ولا تقدر انت على الاحسان

وقال آخر لئن كنت بالامس لا يامنك احدٌ فلقد اصبحت اليوم لا يخافك احد

وقال آخر قد وصلت الى من كان لهُ قبلك دين ولا بد من اقتضاء ذلك منك فليت شعري كيف صبرك عند اقتضاء الدين والحق منك

وقال آخر لو كان ما بك من الوقار والسكينة في ما مضى مثل الذي بك اليوم لكنت حكيماً

فلما فرغت الفلاسفة من الكلام قامت امرأتهُ

التي هي بنت داريوس ملك الفرس وكانت من اعز الناس على اسكندر فوضعت خدها على التابوت وقالت ما كنت احسبك ايها الملك اذ غلبت داريوس ان ملكك يُغلَب. ثم قالت للفلاسفة ان كان منطقكم في اسكندر هزءًا فقد خلف الكاس التي شربها لكم كلكم لتشربوها لانها دين عليكم وان كان تعزيةً وندبًا فاستعدُّوا للجواب وتهيأُوا للاعتذار والحجة فانهُ مهما ذاق ستذوقون وليكن العمل على قدر القول فانكم غير آمنين

ثم ان والدة اسكندر ايضًا خرجت فوضعت خدها على التابوت وقالت قد بلغتم في التعزية والذي كنت احذرهُ على اسكندر قد صار اليهِ فلم يبقَ لنا ملك ولا بقي عليهِ فليكثر في الدنيا زهدكم واعطوا الحق من انفسكم فقد قُبِلت تعزيتكم. ثم انها امرت بدفنهِ

نبذة

تتضمن ذكر قتل لويس السادس عشر ملك فرانسا ووصيته الاخيرة

انهُ في سنة ١٧٩٢ مسيحية حدث في مدينة باريس شغب عظيم لانهُ كان قد هاج شعب مملكة فرنسا هياجًا شديدًا وخرجوا على سلطانهم الملك لويس وقاموا على الامراء والاشراف وطلبوا نظامًا جديدًا لهم وادّعوا ان سلطة السلطان بحسب هواهُ قد احدث خرابا في المملكة وان اكابرها يتنعمون في خيراتها وبقية شعوبها يكابدون الاتعاب والمشقات وفي ذات يوم دخلوا على الملك في دارهِ جمًّا غفيرًا تحت السلاح فارعدوا وابرقوا وخاف الملك وارباب الدولة منهم خوفًا عظيمًا وسالهم الملك عن سبب قيامهم وماذا يريدون فقالوا ان هذه المملكة الوف لا نسلم انفسها بيد واحد يقلبها في انامله كما يشاء قال فماذا تريدون قالوا نريد ان لا يبرز الملك امرًا ولا يعقد رايًا من تلقاء نفسهِ ولكن يكون كل ذلك عن حكم ديوان حافل من وجوه اهل المملكة. والملك يكون لهُ الصوت الاول فقال اني احب نظام هذه المملكة وصلاحها كما تحبون واجيبكم الى ما ترون فيهِ خير الجمهور قالوا ان كنت كما زعمت فاختم لنا عهد الشروط مما يلائم صلاح المملكة وقيام المشيخة التي قد رتبناها فختم وانصرفوا

ثم لم تبرح البلابل في المدينة وعلم الملك ان القوم يريدون ان ينفردوا بانفسهم فلا يقبلون ملكًا عليهم فخاف على نفسهِ وهرب ليلًا ومعهُ اخوهُ وبعض اصحابهِ قاصدًا ملك النمسا لانهُ كان اخا زوجتهِ ولما بلغ مشايخ الشعب خروج الملك جدُّوا في طلبه حتى ادركوهُ في بعض المنازل فقبضوا عليه ورجعوا بهِ الى المدينة فوضعوهُ في السجن مع امرأتهِ وولدهِ واما اخوهُ فكان لما قبضوا عليهِ واشتغلوا بهِ اصاب سبيلًا للهزيمة فنجا بنفسهِ وانطلق الى بلاد النمسا وجعل الشعب يصرخ لدى باب السجن فليقتل الملك بموجب الشريعة لانهُ نكث في عهدهِ وهرب ملتجئًا الى آل زوجتهِ التي خربت المملكة بسببها. واقام الملك في السجن اربعة اشهر ثم حكموا عليهِ بالقتل واخرجوهُ امام الشعب في يوم الاثنين الحادي والعشرين من شهر كانون الثاني فطلب ان يخاطب اهل بيتهِ بكلماتٍ قبل قتلهِ فاحضروا اليهِ امرأتهُ وبنيه واختهُ وابنتهُ فلبثوا معهُ نحو ساعتين ونصف وطلبوا منهُ ان ينظروهُ ايضًا عند الصباح فلم يجبهم ومن الغد اعلمهُ رئيس السجن انهُ يُقتَل في ذلك اليوم فطلب مواجهة احد الكهنة دقيقة من الزمان فاذنوا لهُ في ذلك ثم اعطى بعض وكلاء السجن صحيفة مختومة يوصلها الى مجمع الجمهور فاعتذر فدفعها الى رجل اخر ووعدهُ بايصالها وكانت وصيةً لهُ بهذه الصورة

بسم الثالوث الاقدس الآب والابن والروح القدس

انا لويس السادس عشر باسم ملك فرنسا في اليوم الخامس والعشرين من شهر كانون الاول سنة ١٧٩٢ اذ كان لي اربعة اشهر مسجونًا في الحصن الذي يقال لهُ تيبينو في باريس قد قضى عليَّ هولاء الذين كانوا خاضعين لي. واذ لم يكن لي من النجي اليهِ سوى الله تعالى فانا اوضح لدى حضرتهِ الالهية ارادتي الاخيرة انني تارك نفسي لله سيدي وخالقي واتوسل اليهِ ان يقبلها برحمتهِ ولا يحاسبها بحسب استحقاقها بل بحسب استحقاق سيدي يسوع المسيح الذي قدم ذاتهُ لابيهِ السموي من اجل خلاص كل البشر الذين انا منهم ولو كنت غير مستحق لذلك وانني اموت على الاتحاد مع الكنيسة الكاثوليكية الرسولية الرومانية التي اقتبلت سلطانها بتسلسل متصل من القديس بطرس الرسول مستودعة له من المسيح نفسهِ وانني اومن ايمانًا ثابتًا واعترف بكل ما يتضمنهُ قانون الايمان ووصايا الله وبيعتهِ كما تعلمهُ الكنيسة الجامعة وانني طالما كنت لا ادَّعي بان اقيم نفسي قاضيًا في تفسير الاعتقادات التي تمزق كنيسة يسوع المسيح بل قد تصرفت وسانصرف ان احياني الله مسلمًا للتحديدات المعطاة لي من الروساء المتحدين مع الكنيسة الجامعة المقدسة الرسولية والمتفقين معها من بعد اتيان السيد المسيح واتوسل اليهِ تعالى ان يغفر لي كل خطاياي لانني قد اجتهدت ان اعرفها وامقتها واندم عليها واتوب عنها واتضرع امام عزتهِ تعالى

ان يقبل ندامتي الخالصة لاني ارتضيت ان اضع اسمي وختمي على بعض ما يضاد اعتقاد الكنيسة وكان ذلك ضد ارادتي وانوسل ايضاً لكل المحبين لي ان يتضرعوا لله معي لكي انال منهُ الغفران واني اغفر من كل قلبي لكل الذين كاشفوني بالعداوة من غير ان يسبق لهم مني ادنى سبب واستودع الله امراتي وبنيّ واخوتي وعماتي وجميع المرتبطين معي برباط الدم او بنوع اخر واسالهُ ان يتعطف عليهم بالرحمة ويقويهم بنعمتهِ على فقدهم اياي ما داموا في هذا الوادي وادي الدموع. واستودع بنيَّ لامراتي ولا ارتاب بحنوها واشفاقها نحوهم واوصيها ان تهذبهم تهذيب المسيحيين وتجعلهم يعتبرون عظمة العالم كخيال الظل الزائل واوصي شقيقتي ان تستمر ملاحظة بنيَّ بحنوها المعتاد وان تقوم مقام والدتهم ان حكم الله بفقدها لكي يتم شقاوهم. واسال امراتي ان تسامحني بكل الشرور التي احتملتها بسببي وبكل اغاظة يمكن ان تكون حدثت لها من قبلي في مدة اقتراننا. واوصي بنيَّ ان يتقوا الله قبل كل شيء ويتفقوا ويخضعوا الى والدتهم ويحفظوا لها حق التربية وان يعتبروا عمتهم كوالدة ثانية. واوصي ابني انهُ اذا حصل على النحس الاكبر اي صار ملكاً بعدي ان يصرف كل اهتمامهِ ويفرغ جهدهُ في سعادة بلادهِ وراحتها ويجب عليهِ ان ينسى كل بغض وحقد على الجميع لاسيما الذين سببوا لي ما انا محتملهُ الان ويعلم انهُ لا يستطيع ان يرتاح وترتاح المملكة

في ايامهِ ما لم يحكم بحسب الشرايع واوصيه ان يهتم بكل الذين كانوا متعلقين بي ويلاحظهم بالمحبة وانا اعلم ان كثيرًا من الناس كانوا متعلقين بي ولم يسلكوا معي بحسب التزامهم وجازوني بدل الخير شرًا فانا اسامحهم واوصي ولدي ان يعاملهم بالصلاح اذا وقعت لهُ الفرصة والذين حفظوا معي عهود الصداقة يهتم بمكافاتهم . واوصي لولدي بكليبر الذي لي سبيل عادل ان امدح اهتمامهُ وخدمتهُ نحوي منذ وجد معي ولم يزل الى الان والى النهاية واسال اسياد الجمهور ان يسلموهُ كتبي وساعتي وكيس خرجيتي وجميع الاشياء المختصة بي التي هي مودوعة عند مجمع الجمهور. وانهي وصيتي موضحًا امام الله ان كنت قريبًا ان امثل بازاء حضرتهِ الالهية ان ضميري لا يبكتني على ذنب من الذنوب المنسوبة لي . وقد حررت هذه الوصية نسختين في ١٥ كانون الاول سنة ١٧٩٢

المحرر اسمهُ لويس
السادس عشر من
ملوك فرنسا

ثم تعرى من ثيابه بشجاعة فريدة وقلب غير مرتجف وصرخ بصوت عالٍ ايها الفرنساويون انني اموت بريًا واغفر لكل اعداءي وارغب ان موتي يكون مفيدًا للشعب . وفي الحال قُطع راسهُ

طبعة مولفهٔ واخوهُ شاهين سركيس في بيروت سنة ١٨٦٤ مسيحية


COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU58920820
893.7112 Al2
Kitab Sawt al-nafir